مجلة جامعة تشرين – سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية

اسم المقال: التطرف العرقي والديني دراسة مقارنة في فكر وممارسات النازية والصهيونية
اسم الكاتب: د. جمال المحمود، فراس القطان
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/4521
تاريخ الاسترداد: 2025/05/18 06:06 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة تشرين – سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية – ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (36) العدد (2) 2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies -Economic and Legal Sciences Series Vol. (36) No. (2) 2014

التطرف العرقي والديني
دراسة مقارنة في فكر وممارسات النازية والصهيونية

الدكتور جمال المحمود*
فراس القطان**

(تاريخ الإيداع 6 / 1 / 2014. قُبِل للنشر في 7 / 4 / 2014)

□ ملخّص □

يتناول البحث ظاهرة التطرف العرقي والديني، وما بني عليها من نظريات عنصرية أدت إلى نتائج كارثية على مستوى البشرية جمعاء، من حروب واحتلال.

وإذ يدرس البحث نموذجين واضحين في التطرف العرقي والديني، هما النازية الألمانية والصهيونية، فإنه يحاول تسليط الضوء على التشابه الكبير بينهما في الفكر والممارسة.

فالنازية الألمانية: تعد أن العرق الألماني متقدم على كل الأعراق، وأنه أنقى أمة بين أمم العالم أجمع، ولا يجوز اختلاطه بالآخرين، وعلى ذلك فإنه يمتلك الحق في أن يؤمن المدى والمجال الحيوي الذي يجب أن ينتشر فيه، محاولاً بذلك تبرير أحقيته في السيطرة والاستعمار.

أما الصهيونية: فإن عنصريتها تتمثل بادعائها أن اليهود شعب الله المختار الذي يتفوق على غيره من الشعوب، مبرراً احتلاله وتوسعه.

وبناء على ذلك يحاول الباحث الوصول إلى إستراتيجية مبنية على أسس علمية تدحض هذا الفكر العنصري والنظريات الباطلة التي روج لها، والتي تعد خطراً جسيماً يهدد مستقبل الإنسانية ويقضي على أواصر اللحمة بين الشعوب، مبيناً أن وجود هذه النظريات العنصرية ما كانت لتنشأ وتنمو لولا رعاية الاستعمار لها بهدف تبرير حروبه وغزوه بكل أشكاله وتوسعه وسيطرته على باقي بلدان العالم.

الكلمات المفتاحية: التطرف، العرقية، النازية، الصهيونية.

* أستاذ– قسم الدراسات السياسية– كلية العلوم السياسية– جامعة دمشق– دمشق– سورية.
** طالب دراسات عليا (دكتوراه)– قسم الدراسات السياسية– كلية العلوم السياسية– جامعة دمشق–دمشق– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (36) العدد (2) 2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies -Economic and Legal Sciences Series Vol. (36) No. (2) 2014

The Extremism of religious and racial A Comparison studying in thought, practice of Nazist and Zionism

Dr. Gamal Al-mahmoud*
Feras Al-kattan**

(Received 6 / 1 / 2014. Accepted 7 / 4 / 2014)

□ ABSTRACT □

The research cleans up a phenomenon of the extremism of religious and racial on the basis of detestation of racial theories arrive to disaster results on all the humanity level from wars and accupation.

The research studies two distinct samples in racial they are the Zionism and German Nazist, the research tries to spot light on the big similarity between them in the practice and thoughts, the German of Nazist is considering that German racial is development on all racials, it is clearest nation between all of world nations and it shouldn't be mixed in others. However it has right in secures on the extent and living space that should be spread in, it is trying to justification it right in domination and colonization.

However the Zionism: it racism is torture in claim that Jews shold be the chosen people of Good and it successfulls on others peoples that was the justification in occupy and expand, the aim of researcher from that is trying to reach to strategic based on scientific founditions refute the racial thought that make serious danger, it threats the humanity future and annihilates on the contact bond between peoples. The research clears existence like this racial theories that don't existe and grow except for care of colonialism to it for justification it wars and invation in all forms expansion and domination on remainder countries world.

Key words: Extremism, Racial, Nazist, Zionism.

*Professor, Department of Political studying, faculty of Political science, University of Damascus, Damascus, Syria.
**postgraduate student, Department of political studying, faculty of political science, University of Damascus, Damascus, Syria.

مقدمة:

إن التطرف العرقي والديني ظاهرة اجتماعية سلبية، وُجدت منذ القدم بألوان متعددة، واتَّخذت حديثاً أنماطاً وأبعاداً جديدة انعكست آثارها في أشكال من الصراعات والحروب المدمرة والكارثيّة التي حصدت الإنسانية نتائجها.

وإذ يتناول البحث هذه الظاهرة في سياقها التاريخي، فمن الطبيعي أن يقف عند الجذور الفكرية والفلسفية وبعض النظريات التي تبنّتها ودافعت عنها، فضلاً عمّا خلَّفتهُ من انعكاسات سلبية على صعيد تطور المجتمعات، متناولاً بشكل أساسي العنصرية النازية والعنصرية الصهيونية، مبرزاً أوجه التشابه الكبير بينهما من حيث الفكر والممارسة.

وتعد العنصرية من أبرز الموضوعات الشاغلة للفكر الإنساني في التاريخ المعاصر، فقد أدت إلى استخدام الغرب الغزو العسكري بشكله المباشر، ثم الغزو غير المباشر الاقتصادي والسياسي والإعلامي والثقافي.

وبالتالي فإن العنصرية لا تتجلى في إطار واحد ولا تأخذ شكلاً معيناً، فهي متنوعة متعددة لها غايات مختلفة منها المادية الاقتصادية، ومنها الدينية، ومنها الشعور بالتمايز والهوية الخاصَّة، وما إلى هنالك.

ولكن في النهاية تبقى العنصرية والتطرف العرقي والديني بكل أشكاله وألوانه وأنماطه وغاياته أخطر ما يهدد البشرية، ويثير القلق والاضطراب، ويؤدي إلى كوارث عظيمة، وما الحربان الكونيَّتان الأولى والثانية إلاَّ نتيجة لذلك، ودليل عليه.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في كون ظاهرة التطرف العرقي والديني خلقت واقعاً اجتماعياً كانت له نتائجه الكارثية على صعيد المجتمع الَّذي ظهرت فيه، وعلى مستوى البشرية جمعاء بما تولده هذه الظاهرة من حروب واستعمار، وبما تخلفه من انعكاسات سلبية وردود أفعال على من يمارس بحقهم التمييز العنصري، والتطرف العرقي والديني.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل بإمكان دول العالم وشعوبه الوقوف ضد هذه الظاهرة العنصرية، أو الحد من آثارها قدر المستطاع؟ وما هو الدور المناط بالدول الإسلامية والعربية على وجه الخصوص لمواجهة عنصرية الغرب الموجهة ضده، والتطرف العرقي والديني الصهيوني الذي يستهدف الشعوب العربية والإسلامية ووجودها وكيانها؟.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث في التأكيد على ضرورة مواجهة التطرف العرقي والديني– الذي يعد خطراً جسيماً يهدد مستقبل الإنسانية– من قبل شعوب العالم وأنظمته.

هدف البحث:

تهدف الدراسة إلى:

1– تبيان مخاطر التطرف العرقي والديني على الأصعدة المختلفة السياسية والاقتصادية والعسكرية، وعلى صعيد البنى الفكرية والثقافية والأخلاقية والقيمية.

2– إبراز جوانب التشابه الكبير فكراً وممارسة بين العنصرية النازية والعنصرية الصهيونية.

3– إثبات أن النظريات العنصرية، ومنها التطرف العرقي والديني، باطلة من الناحية العلمية.

فرضيات البحث:

1- وجود علاقة كبيرة بين التطرف العرقي والديني من جهة، ونشوب الحروب وانتشار ظاهرة الاستعمار من جهة أخرى.

2- هناك تشابه كبير بين العنصرية النازية والعنصرية الصهيونية من حيث الفكر والممارسة والهدف.

3- ثمة صعوبات ومعوقات كبيرة تحيط بالواقع العربي وبنظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، تحول دون قدرته على مواجهة التطرف العرقي والديني الذي يمارسه الغرب والكيان الصهيوني عليه.

المنهجية العلميّة المتَّبعة:

قام الباحث باتِّباع المنهج التاريخي، من خلال تتبُّع تطور ظاهرة العنصرية في السياق التاريخي، والإشارة إلى كل مرحلة من مراحل هذا التطور، والتوقف عند العنصريتين النازية والصهيونية.

وكذلك المنهج الوصفي التحليلي، القائم على الملاحظة، وتحليل ظاهرة العنصرية، وتوضيح أسبابها ودوافعها، وتبيان مخاطرها.

إضافة للمنهج التحليلي المقارن، من خلال دراسة وإبراز أوجه التشابه بين النازية والصهيونية.

النتائج والمناقشة:

أولاً: مفهوم العنصرية والتطرف

إنَّ التمييز العنصري كمعنى أكاديمي كما عرّفه الميثاق الدولي لإلغاء جميع أشكال التمييز العنصري هو "أي تمييز أو حرمان أو تقييد أو أفضلية على أساس العنصر أو اللون أو السلالة أو الأصل العرقي والقومي" [1].

كما عرفت دائرة المعارف البريطانية "الانسكلوبيديا" العنصريةَ على النحو التالي:

العنصرية: "هي النظرية أو الفكرة القائلة: إن هناك علاقة سببية بين الصفات الجسدية الموروثة وبين صفات معينة تتعلق بالشخصية أو العقل أو الثقافة، يضاف إلى هذا فكرة أن بعض الأعراق هي متفوقة على أعراق أخرى بصورة وراثية. إن تعبير العنصرية ليس مرتبطاً بالضرورة بالتمييز البيولوجي أو الإنتروبولوجي للعرق الَّذي هو تقسيم فرعي للنوع، وغالباً ما يجري سحب الأفكار العنصرية بلا تمييز إلى مجموعات غير بيولوجية وغير عرقية مثل الطوائف الدينية والأمم والمجموعات اللغوية والمجموعات الإثنية أو الثقافية"[1].

وقد أكد تصريح الأمم المتحدة ذو الرقم /1904/ الصادر في 20 تشرين الثاني عام 1963 أنَّ "كل عقيدة تنادي بالتفرقة العنصرية أو بالتفوق العرقي هي عقيدة خاطئة من النواحي العلمية، كونها غير عادلة، وخطيرة من الناحية الاجتماعية، وتستحق الإدانة". كما أخذت الجمعية العامة باعتبارها القرار ذا الرقم /77/ الذي اتخذه مؤتمر رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الإفريقية المنعقد في "كمبالا" آب عام 1975، حيث بيّنَ "أنَّ للنظم العنصرية مصدراً إمبريالياً مشتركاً، وغايتها اضطهاد كرامة الإنسان، وأكبر مثال على ذلك النظام العنصري الصهيوني في فلسطين، والنظامان العنصريان في زمبابوي وجنوب أفريقيا" [1].

في حين بينت منظمة أونسكو أنه أياً كان شكل التمييز العنصري فهو في جميع الحالات، تمييز موجه إلى فئة عرقية أو دينية بسبب عرقها أو دينها أو لونها، بمعنى أنه لا تستمتع هذه الفئة بحقوقها وحرياتها، وإنما تتعرض لأشكال

متنوعة من القيود من حيث السكن والتعليم والعمل والمرافق والخدمات مما يجعل مستواها الفكري والاجتماعي والاقتصادي أقل من مستوى الفئات الأخرى.[2]

وفي حين تعتبر الاختراعات والاكتشافات الكبرى والقوة السياسية مدعاة اعتزاز وافتخار للرجل الأبيض، إلا أن ما يمكن تأكيده كطرف آخر للمعادلة هو أن هذه المكاسب حملت للبشرية مزيداً من وسائل الدمار والكوارث الكبرى. وهذا التناقض يؤكده الدكتور "ألفرد ميترو" أحد كبار العلماء الإنتوغرافيين[1] بقوله: "إن العنصرية هي بين مظاهر الثورة الواسعة الحاصلة في العالم أكثرها إثارة للاضطراب وقلقاً للنفس، ففي الساعة التي تمتد فيها –حضارتنا– الصناعية إلى جميع بقاع الأرض قاطبة، وتنزع الشعوب الملونة من تقاليدها القديمة يتذرّع البعض بنظرية ذات طابع علمي مغلوط لمنع هؤلاء البشر بالذات، وقد حرموا من تراثهم الثقافي، من الاشتراك الكامل بحسنات الحضارة المفروضة عليهم. فثمة تناقض محتوم داخل –حضارتنا–، فهي تفرض من جهة على سائر الثقافات قيماً تنسب إليها كمالاً لا جدل فيه، ولا تسلم من جهة ثانية أن ثلثي البشرية قادرون على بلوغ الهدف الَّذي تقترحه عليهم" [2].

إن هذه التعاريف تشترك مع معظم الدراسات التي تناولت مفهوم العنصرية في أنَّ: الجوهر الحقيقي للظاهرة العرقية هو الادعاء بأنّ البشر غير متشابهين، و ثمة فوارق في مظهرهم الجسماني تنتقل كلياً أو جزئياً من الآباء إلى الأولاد، وأن مجموعات متشابهة نسبياً تؤلف ما يسمونه بالأعراق، فهذه الأعراق تقع عند مستويات شتّى إذ ينعم بعضها بحسنات حضارة متقدمة بينما بعضها الآخر ما يزال في طور متخلف.

ويبقى بالتالي الرجل الأبيض ذو الحضارة الغربية يجد نفسه اليوم في أعلى السلم رغم التهديدات التي تصعد من الداخل والخارج ضد حضارة يعتبرها وحدها جديرة بهذا الاسم، ويتوهَّم أنه صنيع نفسه، وأنه تُلقى عليه منذ الولادة وبفعل تكوينه الخاص رسالة تحضيرية للشعوب الأخرى.

ولم تكتفِ العنصرية بإعلان تفوق الأبيض على المجموعات البشرية ذات اللون غير الأبيض، والحكم على اختلاط الأعراق بالتأكيد على أنه خطر يؤدي إلى انحطاط العنصر، وإنما ذهبت إلى إقامة تسلسلات بيولوجية وسيكولوجية داخل العرق الأبيض نفسه، محاولة بذلك تبرير امتيازات جديدة في السيطرة والاستعمار لصالح طبقة معينة. وهكذا برز مذهب "تفوق العرق الآري" الَّذي أدى بدوره إلى ولادة خلافات ثانوية (التوتونية، السلتية، الأنكلوسكسونية...)[2] التي تطورت في آن واحد في ألمانيا وإنكلترا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا [2].

إن الهواية المفضلة لهؤلاء هي إبراز الذات، وهذا حقّ لأيٍّ كان أفراداً أو جماعات، ولكن السلبي عند أولئك العنصريين هو طمس كل ظاهرة من ظواهر التماثل والتشابه والتوازي بين الأطراف المختلفة، حيث يجري تقديم معرفة خاطئة عن الآخر، مؤسسين هوية على قاعدة سحق الهويات الأخرى أو تغييبها [3]، فالمذهب الآخر هو دائماً مذهب نقيض يحمل قيماً سلبية، وتطوره محدود بطبيعته، والعرق المنتخب هو الَّذي يهيمن ويتحكم بالطبيعة، مما لا يترك للعرق الآخر سوى ممارسة دورٍ هامشي على مسرح الحياة، ولكنه ضروري لإظهار البطل ألا وهو العرق المنتخب، فتسرع هنا السياسة البيولوجية إلى سياسة الحل النهائي في التصفية الجسدية المتجددة دوماً، فإن اختفى الآخر(العدو) لسبب ما فيجب بالتالي إعادة خلقه كضرورة إيديولوجية، فالشعور بالتمييز العرقي، وبالتالي استعمال العنف إنما هو

---

[1] – الإنتوغرافيا: هي أحد فروع علم الأعراق البشرية (الأنتروبولوجيا)، ويقصد بها، وصف الأعراق البشرية.

[2] – التوتونية: هي الشعوب الجرمانية القديمة.

السلتية: هي الأقوام الهندية والأوروبية القديمة التي عاشت وسط وشمال أوروبا في القرن السابع قبل الميلاد، وتتحدث اللغة السلتية.

الأنكلوسكسونية: هي الدول الناطقة باللغة الإنكليزية، وعددها 74 دولة.

بحاجة إلى الحرب الدائمة أياً كان نوعها، فالسلم الدائم مخيف لأنه ينفي الذات المتعالية القوية بعد أن تكون قد فقدت هويتها، فإما أن تزرع الذعر والخوف وعدم الاستقرار لاقتلاع الآخر من أرضه واستملاكها، أو لرسم حدود وفوارق وتمايزات يتم فرضها قسراً، وبالتالي يستمر وعي الهوية المتمايزة.

وهكذا سارعت الحضارة الغربية لتبرير مفردات القوة والتسلط والعنف من خلال سيطرة أفكار النهاية والانحطاط فجاء في كتاب "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" للمفكر الأمريكي ذي الأصل الياباني فرانسيس فوكوياما والَّذي استبعد العالم الثالث من ترسيمة التاريخ العقلانية، معتبراً العالم الثالث أنه يمثل عصراً سابقاً للبشرية أسيراً للتاريخ يصعب تحرره منه. وبمقابل تحقيره لهذا القسم من العالم يقوم بتبجيل الذات الغربية التي تخطت بنظره الدورة التاريخية، ووصلت إلى حالة التطابق بين المثل والواقع بالغةً الكمال الأخير.

إن افتقار الغرب لبناء مستقل عن الثقافة الإغريقية، وحاجته إلى إبراز هويته الخاصَّة به أدى إلى رسم صورة غير واقعية للإغريق، فذهب البعض إلى اعتبار اليونان اختراعاً أوروبياً لكي يجسدوا وَهْمَ الذات المتعالية للغرب، وبمقابل ذلك كانت هناك عملية مصادرة لتراث الحضارة اليونانية، وهذا ما قام به فوكوياما عندما عاد إلى أفلاطون وجعل من "الثوموس" هذه الكلمة التي تعني عند الإغريق "الروح أو النفس" واستخدمها أفلاطون ليعني بها القلب والشجاعة، بينما جعل فوكوياما من هذه الكلمة الثوموس ضرورة لتفسير الرغبة والطموح نحو الديمقراطية الليبرالية وصراعاً للميول والقيم، محولاً بالتالي هذا المعنى إلى مفهوم لم يكن يريده أفلاطون، وبالتالي فإن فوكوياما يجعل من الثوموس رغبة في الاعتراف بالمفهوم الهيجلي "جدلية السيد والعبد"، ويرجع بالتالي كل أفعال وتصرفات البشر إلى تلك الرغبة، حتى إن العالم الثالث برأيه هو وجود ضروري للغرب لامتصاص الطاقات والطموحات الخاصَّة بالشخصيات الثوموسية، مؤكداً على أن الشكل الياباني الحالي، على أن يتجسد أمريكياً هو الَّذي سيعبّر عن الاستحقاق الثوموسي لموعد التاريخ مع نهايته [4].

ويشار إلى أن التمييز العنصري يتخذ صوراً متعددة، كمعاملة العدو الصهيوني للشعب العربي في فلسطين، كذلك بالنسبة لجنوب أفريقيا، حيث كان ينعكس التمييز العنصري بفصل شبه تام بين الغالبية السوداء المضطهَدة، والأقلية البيضاء المتحكِّمة بكل شيء، وعلى الأصعدة كافة.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد ظهر عن طريق معاملة الأمريكيين البيض للسود معاملة خاصَّة تجعلهم أدنى من الغالبية البيضاء اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً، فلقد عمل زنوج الولايات المتحدة الأمريكية في مزارع القطن والتبغ في شروط لا تصل الحد الأدنى من شروط الحياة، وبأجور بخسة وضمانات قليلة، واستمر ذلك حتى ستينيات القرن العشرين بعد فترة من ظهور الحركة التي قادها مارتن لوثر كينغ، تلك الحركة المناهضة للتمييز العنصري ضد السود في الولايات المتحدة الأمريكية.

وقد روّج الأمريكيون لفكرة مفادها أنه ليس لدى الزنوج مشاعر وأحاسيس إنسانية، وذلك كي يبرروا المعاملة الوحشية التي عاملوهم بها، والتي تتعارض كلياً مع المبادئ المعلنة للثورة الأمريكية، ومع قيم الدين المسيحي القائم على التسامح والمساواة وعدم التمييز.

إن ما حدث في أمريكا وجنوب أفريقيا، وكذلك ما يفعله العدو الصهيوني في أرض فلسطين العربية يبيّن أن التمييز العنصري يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالاستغلال الاقتصادي و بالحركة الاستعمارية، إلا أنه قد يتعدى هذه الصور إلى شكل آخر قد يبتعد كثيراً عن المفهوم المادي، وهذا الشكل تمثَّلَ بـ"الأصولية الدينية"، فكما أن الأصولية العلمانية التي ترفض أي تعامل مع الدين في الحياة العامة، وكذلك الأصولية الاقتصادية التي لا ترى إلا الربح والسوق والمنافسة،

وأيضاً الأصولية الاجتماعية التي تؤيد حقوق الأقليات دون حقوق الشعوب، والأصولية السياسية التي تأبى إلا التحالف مع الدول الكبرى في نظام واحد للعالم، وهناك الأصولية الثقافية التي تتمسك بالهوية ومظاهرها التقليدية، فإن الأصولية الدينية هي نوع من أنواع العنصرية المدمرة للبشرية.

فالأصولية المسيحية مثلاً تدافع عن حقيقة المسيحية، ولا تعترف بكل التراث النقدي التنويري للدين وتنسّق مع الأصولية اليهودية لتأكيد "العهد وأرض الميعاد"، وتحقيق "الوعد الإلهي والاصطفاء لبني إسرائيل"، وتلتقي مع الأصولية الإسلامية في رفض مظاهر الحداثة الغربية عبر تحريف جوهر العقيدة الإسلامية.

فبعد أن سارعت الحضارة الغربية منذ عصورها الحديثة في الإصلاح الديني في القرن الخامس عشر، والنهضة في القرن السادس عشر، والعقلانية في القرن السابع عشر، والتنوير في القرن الثامن عشر، تأزمت في القرن العشرين؛ إذ قامت حربان عالميتان طاحنتان عنصريتان، أخذتا بهدم ما بنته أوروبا سابقاً.

وفي الواقع ليس بالإمكان هنا إلاّ التأكيد على أنّ ثمة حضارات تجد نفسها في حقبة معينة من التاريخ، وقد حازت على وسائل تقنية متقدمة جداً، مزدريةً أو على أفضل تقدير منتقصةً من قيمة كل أنواع الحضارات التي لم تحز بعد على التقنية المادية، إلاّ أنها قد برعت في تقنيات من نوع آخر، كممارسة الفلسفة والروحانيات وتقنيات السيطرة على الذات والتأمل والفنون بمختلف جوانبها وغير ذلك ....

إلا أن ميزان القوة يميل نحو الحضارة الأولى ذات الوسائل التقنية المادية المتقدمة، لتنزع بالتالي إلى احتلال مكان الحضارات الأخرى المتخلفة عنها تقنياً، وهذه هي حال الحضارة الغربية اليوم التي تشهد توسعاً يمتد على صعيد عالمي. وهذه القدرة على التوسع العالمي تظهر في النهاية على أنها المعيار الفاصل الَّذي يسمح بأن يتم نسب درجة من العظمة إلى كل حضارة.

ثانياً: الجذور التاريخية لنشأة العنصرية

كانت الشعوب البدائية تنفي الإنسانية عن غير سلالتها، ظنّاً منها أنَّ من لا يتكلم لغتها متوحش أو أعجم. هذا الأمر تحول إلى عقيدة دينية جعلت قبيلة بدائية تتصور نفسها شعباً مختاراً، بل وصل الأمر بأناسها إلى اعتبار أنفسهم أبناءً للرب [5].

إنَّ أقدم إشارة إلى حالة تمييز عنصري ضد السود– ولئن كانت نتيجة تدبير سياسي لا تعصب عنصري– موجودة على نصب تذكاري أقامه الفرعون سيوستريس الثالث (1887 – 1849) ق.م عند الشلال الثاني من النيل، وقد كتب عليه: "عند الحدود الجنوبية نصب أقيم في السنة الثامنة من عهد سيوستريس الثالث ملك مصر العليا والسفلى الَّذي يعيش منذ الأزل وإلى الأبد. إن اجتياز هذه الحدود في البر أو في الماء محظّر على كل أسود باستثناء الراغبين في البيع والشراء، الَّذين يُعاملون معاملة الضيوف، ولكن يمنع كل أسود منعاً باتاً من نزول النهر"[2].

وبشكل عام فإن مسألة العروق موغلة في القدم، وقد تم تناولها بدرجات متفاوتة، فالبعض بشيء من التوازن الإيجابي كالعرب قديماً، حيث اعتزوا بحسبهم ونسبهم، وما هذا الاعتزاز إلا نوع من الفخار المتزن، وفي التاريخ لمحات وضّاءة من هذا التمجيد الهادئ، وهكذا فقد قال النعمان مخاطباً كسرى مفتخراً بالأمة العربية، مفضلاً إياها على جميع الأمم الأخرى دون مساس بكرامة أيِّ أمة أو انتقاص من قيمتها، وعندما سأله كسرى بماذا فضلتها عن سواها من باقي الأمم؟

أجاب النعمان: "بعزتها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها..."[6].

وبالمقابل فهناك من حمل قضايا العروق على محمل التعصب الأعمى كالفراعنة في مصر فقد عدّوا أنفسهم آلهة، واليونانيين الَّذين مجدوا أنفسهم لدرجة التفرُّد وعدّوا كل البشر دونهم مكانة ومنزلةً.

والتاريخ البشري مليء – بشعوب تعتبر نفسها مختارة– تتبجح بفضائلها وصفاتها الوراثية المزعومة، فعلى سبيل المثال هنالك سفر التكوين الذي يسلِّم بسفالة بعض الشعوب مقارنةً مع شعوب أخرى عندما يقول: "ملعون كنعان هو عبد العبيد" [7]، وبالتالي فإن يهوه التوراة يقسم الشعوب في العائلة البشرية الأولى بين سادة وعبيد، فكان ميراث شعبه حقداً ضارياً على جميع الشعوب.

لقد انتشرت الفكرة العنصرية وتوطدت مع بدء استعمار أفريقيا، وزادت مع اكتشاف أمريكا والطرق البحرية إلى الهند عبر المحيط الهادي، ومردّ ذلك إلى أسباب اقتصادية وإلى بروز الروح الاستعمارية وإلى عوامل أخرى على حدّ قول الدومينيكي الاسكتلندي جون ميجور: "فقد كان في نظام الطبيعة أن يكون بعض الناس حرّاً وبعضهم عبداً".

في الحقيقة لا تعود عنصرية الغرب وعرقيته ضد الشعوب الآسيوية والإفريقية إلى العصر الحديث إنما ترجع إلى العصور الوسطى، بل وتمتد إلى ما قبل الميلاد، وهذه الدواعي تحركها روح العداء القديم المتأصل في الغرب إزاء الشرق، فالغرب يرى أن لا سبيل إلى تعايش سلمي بين الحضارة الغربية اليونانية والرومانية الراقية وبين العقلية الهمجية والبربرية الآسيوية الشرقية المتخلفة، ويظهر العداء بأقسى حدته ابتداءً من الحملات الصليبية الموجهة ضد الشرق العربي طوال قرون عدَّة، وفي التحالف المغولي الصليبي الَّذي عمل له الملك لويس التاسع.

لقد تغلغلت هذه الروح العدائية في صميم حياة الغرب منذ قرون بعيدة؛ إذ وصفوا أنفسهم بأنهم حملة رسالة إنسانية إلى العالم المتخلف، مبتدعين نظرية سياسية حقوقية لتسويغ عدوانهم عرفت باسم (المسألة الشرقية) والتي يرجعها المؤرخون الغربيون إلى أول صراع قام بين الفرس واليونان، ويعتبرونها قد نشأت فعلاً منذ حرب هرقل مع كسرى عام 614م. هذا وقد نشأت المسألة الشرقية الجديدة في العصر الحديث لتعالج في نظر الغرب المشكلة البلقانية والمشكلة الإسلامية العربية ومشكلة الأقليات في الشرق [8].

وقد تطورت المعتقدات العنصرية إلى مرتبة مذهب حقّ خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بيد أنه كان من المرتقب في مرحلة قصيرة نسبياً أن يؤدي انتشار مبادئ الثورتين الأمريكية والفرنسية ونجاح الحملة ضد العبودية في إنكلترا إلى تخفيض حتى وإزالة المعتقدات العنصرية، ولكن ردة الفعل التي ظهرت خلال تطور أوروبا صناعياً في بدء القرن العشرين كان لها تأثيرات مباشرة في القضية العنصرية.

ثالثاً: ادعاء التفوق العنصري النازي

إنَّ ادعاء التفوق العنصري للجنس الآري لم يكن فكرةً ألمانيةً حديثة، بل تمتد جذورها إلى فلاسفة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وقد تأثر بهم هتلر وتبنّى وجهات نظرهم. ومن هؤلاء الفلاسفة (فريدرك ليست) و(آرثر دو غوبينو) صاحب نظرية تفاوت الأجناس البشرية، و(ريتشارد فاجنر) و(فريدريك نيتشه) و(هوستن تشمبرلن) و(جورج شوبنير) و(فيخته)... وغيرهم. وكلهم يجمع على التفوق العنصري للشعب الألماني وبأحقية الزعامة للمواطن الألماني المحافظ على سلالته الآرية من تسلل واختلاط العناصر غير الآرية[3]. [6]

[3] – آري: من اللغة السنسكريتية ومعناها السيد، استخدم هذا المصطلح للتعبير عن الشعوب الهندو– أوروبية التي انتشرت في جنوب آسيا وشمال الهند في العصور القديمة، وقام المفكرون العرقيون الغربيون بتطوير هذا المفهوم فذهبوا إلى أن هذا الجنس يتسم بالكمال والذكاء والشجاعة وعمق التفكير والمقدرة على التنظيم السياسي وبتفوقه على الأجناس الأخرى.

فمفهوم النازية للشعب يعني الشعب العنصري الَّذي ينشأ بوساطة التقاء أفراد الدم الواحد.

إن نظرية التفوق العنصري خدمت إلى حد كبير انتشار الدعوة النازية، وكذلك نظرية المجال الحيوي، في الوقت الَّذي كانت فيه ألمانيا مهزومة وتعاني الاحتلال، فنظرية المجال الحيوي لـ (تشمبرلن) دعت إلى وحدة ألمانيا الكبرى وإلى التوسع في مجالها الحيوي، وذلك لا يتحقق إلا بالقوة لأن الحدود الألمانية لم تعد تتلاءم مع الحاجات الاقتصادية والجغرافية والعسكرية لألمانيا. وبالعودة إلى تاريخ الجيش البروسي يُلاحظ أنه تاريخ طريف، فلقد كان هدف فريدريك غليوم إمبراطور بروسيا هو تقوية الجيش لاعتقاده أن الجيش هو الطريق الوحيد لإقرار الأمن في بروسيا ولاحتلال بعض الأراضي إذا اقتضت الضرورة، وهو القائل: "لا يكون الفتح بالعلم وإنما بالسيف" وهو الَّذي غيَّر عادة أن يتألف الجيش من المتطوعين فقط، فقد كانت تكاليف التطوّع باهظة فأنشأ الفكرة القائلة: "إن كل سكان الدولة ولدوا لأجل السلاح"، ومن هنا نشأت فكرة الخدمة الإجبارية وظهر مبدأ الجيوش العظيمة، وهذا أمر جديد لم يكن موجوداً قبل القرن الثامن عشر، وقد تطور الأمر بالشعب الألماني حتى أصبح يرى في دمه حب الحرب وأن الحرب صناعته وغوايته وفخره، وهذا ما أكده أحد رجالات الألمان الكبار وهو (موللر فان دان بروك) بقوله: "خلقنا لنزعج العالم على الدوام" [9].

ورأي نيتشه واضح في هذه المواضيع، فهو يؤكد على أن الألماني ذو شخصية مفطورة على حب النضال وحب النصر، وهو نضال النفس النقية الصافية ضد القوى الشيطانية الهدامة.

وعندما لجأ المسؤولون الألمان إلى التسامح – منذ أواخر القرن التاسع عشر، بعد الأخذ بنصائح عملاء الماركسية اليهود، واعتماد ألمانيا بالتالي على التجارة بدل التوسع، ظناً منهم أن استعمار العالم اقتصادياً وسلمياً سيضع حداً لسياسة العنف [10]– وقف أقطابها ومفكروها وفلاسفتها ضد هذا المبدأ، فهذا توماس مان القائل: "إن ألمانيا المتغربة انصرفت إلى نواح ليست في الأصل من طبيعتها، وانصرفت إلى حب الديمقراطية، ومدت يدها إلى التسامح الإنساني، ونسيت أن وحدتها ما كانت لتقوم لولا أنها أهانت فرنسا وأذلتها، مؤكداً أن فرنسا وإنكلترا شعبان منحطان لا خير يرجى منهما في الثورة الألمانية الكبرى". [9]

إن كبار الفلاسفة الألمان يجمعون على أن ألمانيا وحدها تستطيع إنقاذ البشرية وإيجاد حياة سعيدة جديدة على هذه الأرض الإنسانية جمعاء، ويردّون أسباب ذلك إلى أن الألماني يستطيع أن يؤدي هذه الرسالة لتوفر صفات خاصَّة به تضعه في أعلى مستويات البشر؛ فالألماني عند نيتشه هو عنصر متفوق إلهي، قدّر عليه أن يدافع عن الحضارة التي ينتمي إليها ضد الأخطار الخارجية وقدّر عليه أن يؤمّن لها المدى الَّذي يجب أن تنتشر فيه.

بناءً على هذه الأفكار تمخَّض لدى مفكري ألمانيا وقادتها مبدأ القوة وتمجيدها، وأن القوة عليها مدار الأمور على هذه الكرة الأرضية، وما عداها فساقط في الحساب لا يؤبه له. [9]

ويطالب ألفريد روزنبرغ (الَّذي يعدّ المؤسس الحقيقي للنظرية العنصرية) دول أوروبا كلّها أن تتبع ألمانيا في نضالها ضد العروق الأجنبية، فالتعاون بين الشعوب الأوروبية يجب أن يتم ولكن على أساس الفكرة الجرمانية.

ويؤكد هتلر أن العرق الآري هو رأس الإنسانية وتاجها، ولم تنهض اليابان نهضتها المعروفة إلا بتأثيرات الآرية كما هو الحال في بروسيا، وهناك عروق مبدعة تحمل الحضارة فقط وليس بالإمكان إبداع حضارة حقيقية إلا عن طريق الحرب. [10]

وقد وصف هتلر فتوحاته في بدايات الحرب العالمية قائلاً: "قد يتّهمني المرء بأنني مولع بالحرب، وأني لأرى مصير جميع المخلوقات مرتبطاً بالصراع، وليس في وسع المرء إذا لم يقبل بالهبوط والتدهور إلاَّ أن يحارب ويصارع

وليس للذكاء والحساب أي ثمرة هنا، فالحل يجب أن يتم بالسيف"، من هنا اتفق هتلر مع زعيم إيطاليا الفاشية ستالين في ملحق سري بينهما في الثامن والعشرين من شهر أيلول عام 1939 على تقسيم بولندا بينهما لكي يتم القضاء على حرية هذه البلاد وثقافتها ووجودها القومي. هذا بالفعل ما حدث وما أكده الحاكم العام للجيش الألماني هانز فرانك عندما قال: "لو أمرت بتعليق إعلان واحد عن كل سبعة من البولنديين الَّذين أعدموا لما كانت هناك غابات كافية في بولندا لصناعة الورق اللازم لهذه الإعلانات"، مبيناً عمليات الإبادة والإعدام بالجملة التي كان ينوي القيام بها لمجموعات أخرى من المثقفين.

وراح هتلر الَّذي لا يعرف أي مبادئ أو قيم يتراجع عن تحالفه مع ستالين بعد نحو عام ونصف ليعلن بشكل هو في غاية التناقض والدموية في آذار عام 1941 في مؤتمر حضره كبار قادة الميدان بأن الحرب ستشنّ على روسيا وستكون من النوع الَّذي لا تتبع فيه أصول الشهامة والفروسية، ويجب أن تكون من نوع لا رحمة فيه ولا مثيل له، فهذا الصراع صورة للخلافات العقائدية والعنصرية.

وكذلك الأمر في بريطانيا وفرنسا، حيث أخذ هتلر يبتهل إلى الله أن يهب الفهم للشعوب الأخرى لتدرك ما في الحرب من ضير وأن يحملها على التفكير في نعم السلام، وراح يخاطب بريطانيا وفرنسا بأنه ليس ثمة ما يستحق أن يحارب المرء لأجله، مؤكداً "أن التاريخ العالمي علّمنا أنه لا يمكن أن يكون هناك منتصران بل عدد كبير من الخاسرين دوماً، وبأنه من المنطق كل المنطق المبادرة إلى الحل قبل أن يتعرض الملايين من الناس للموت والبلايين من الثروات إلى الدمار". وبعد يوم واحد من تأكيد هتلر لبريطانيا بعقد صلح معها دعا قادته في فروع القوات المسلحة وأبلغهم قراره بالهجوم في الغرب بأسرع وقت ممكن بعد أن تأكد له أن الجيوش الفرنسية والبريطانية ما زالت مفتقرة إلى الاستعداد[11]، فهدفه من هذه الحرب هو التصرف عسكرياً وبصورة نهائية بالغرب أي تحطيم ما لدى الدولتين الغربيتين من قوة وطاقة.

وبموجب هذه الرسالة "المقدسة الحضارية" التي دعت إليها النازية وجدت أن عليها أن تعيد تربية النشء تربية عنصرية، فقامت الحكومة الألمانية بصبغ ألمانيا بالصبغة النازية، وعمدت إلى تكوين ثقافة جديدة تحكمها المبادئ النازية، إضافة للتخلص من التأثيرات غير الآرية، فعملت هذه الحكومة الجديدة على هدم الثقافة القديمة وإقامة الثقافة النازية، واتخذت التدابير التي منعت أي مؤلف ذي شهرة من طبع أي كتاب له إلا بعد الاطلاع عليه من قبل جهات الحكومة وموافقته لأفكار النازية، وما إن شعر كثير من الكتّاب بالتهديد تركوا ألمانيا وأخذوا ينتقدون الرايخ الثالث وينبّهون العالم إلى خطره من خلال كتاباتهم باللغة الألمانية في الدول التي هاجروا إليها، أمّا الكتّاب الَّذين اختاروا أن يبقوا داخل ألمانيا بعد عام 1933 فقد اختاروا الهجرة والتغرّب عن أدبهم [12].

أمّا الصحافة فأصبحت توجَّه للأغراض السياسية والدعائية والترويج للأفكار النازية والدعوة إلى معاداة غير الآريين، وتعبئة المشاعر ضد الشيوعيين، إضافة لنشر مقالات الدعاية الخارجية ضد الدول التي تختلف ألمانيا معها. وتم إنشاء وزارة للدعاية، ووضع هتلر الغرض منها في إظهار قيم الشعب الآري وتنفيذ برنامج الحزب، فالإذاعة مثلاً أصبحت تعني صوت ألمانيا، وأصدرت ألمانيا أمراً بأن تحتكر الدولة صناعة أجهزة المذياع وروّجت طرازاً أسمته مذياع الشعب وباعته بثمن زهيد طامحةً أن تجعل في متناول الشعب أجهزة ضعيفة لا تستطيع التقاط ما تذيعه المحطات البعيدة، كما عمدت إلى تشويه ما تذيعه المحطات الأخرى وخاصَّة الروسية حتى يتعذر سماعه، وأنشأت أيضاً محطات إذاعية تخاطب من خلالها الألمان خارج ألمانيا وتروّج لفكرها النازي، ولم تكن السينما والأفلام السينمائية والفنون الجميلة والموسيقى بأحسن حال من سابقاتها، حيث تمّتْ دعوة صانعي السينما لإنتاج أفلام تخدم النظام الجديد ما أدى

إلى رحيل معظم صانعي السينما من ألمانيا، فكانت نهاية حقبة الازدهار التي انتشرت خلال عشرينيات القرن العشرين كاملاً، وكذلك فقد رفض النظام مبدأ الفن من أجل روح الفن فقد كان يرى أن كل مظاهر الجمال الثقافي يجب أن تخدم النظام الجديد، ولم يعد سوق الفن الألماني قادراً على ممارسة نشاطه بحرية لأن الإيديولوجيا النازية اتّهمت هذا النوع من الفنانين بالماركسية مما اضطرهم للهجرة خارجاً، حتى في موضوع الموسيقى التي تعتبر أقل الفنون علاقة بالسياسة فقد أصبح هدف ألمانيا واضحاً في مجلس موسيقى الرايخ، وهو رفض أي موسيقى غير موسيقى الآريين [1].

وفيما يخص التربية والتعليم فقد أصبحت مهمة الحزب والحكومة تعليم أبناء الشعب أن الحرب شيء طبيعي لتدعيم ولائهم للوطن، وجرى تحويل المدارس العلمانية جميعها من الصفوف الابتدائية الأولى حتى الصفوف النهائية في الجامعات وفقاً للفكر النازي، وأضحى كتاب هتلر تحت عنوان "كفاحي" اللسان الناطق في الهيئات التدريسية والمرشد لهم في حقل التربية، كما تمَّ تلقينهم مبادئ النازية وتعاليمها القائمة على إفناء الفرد في الدولة والتضحية من أجل الزعيم، وأُلزم المدرسون ترديد تحيّة النصر للزعيم هتلر وإنشاد النشيد الوطني القومي (ألمانيا فوق الجميع) في صباح كل يوم دراسي، إضافة لتبادل تحية النصر بين المعلم والطلاب داخل المدرسة وخارجها وعند بداية كل درس وعند نهايته. وفي سن الرابعة عشرة كانوا يُدرَّسون علم الوراثة حيث يظهر أساس علم الأعراق البشرية (الأنثروبولوجيا).

لقد خطط هتلر ليكون التعليم غير مقصور على الدروس الجامدة بل يتعداها إلى التدريب العسكري والسياسي في منظمات الشباب، وتحولت الرياضة البدنية إلى تدريبات عسكرية من ملاكمة وتمارين الميدان وقذف القنابل اليدوية، وكان الشبّان والفتيات بين السادسة والثامنة عشرة سنة من عمرهم يُنظَّمون في مختلف درجات الشبيبة الهتلرية ويخصص لكل منهم دفتر درجات يدوّن فيه سير تقدمه ونموه العقائدي، وبعد أن يتم الثامنة عشرة ينتقل إلى الخدمة العسكرية، وكانت جميع الدروس بخصوص تمجيد الحرب وإحياء روح المغامرة، وكثيراً ما كانت الفتيات تتدربن على الأعمال العسكرية [12].

وفي مرحلة التعليم العالي صُبغ التعليم بالصبغة النازية وحرّف التاريخ في الكتب المقررة، وفي محاضرات الأساتذة كان تعليم العلوم العنصرية يقوم على أساس أن الألمان يؤلفون العنصر السيد. وقد تم طرد أكثر من 14% من أساتذة الهيئة التدريسية عدا من غادرها طوعاً، وهذا إما لأنهم غير آريين أو غير مرغوب بهم سياسياً أو أنهم تداولوا أفكاراً شيوعية [1].

لقد تبنى النازيون الرؤية العلمية المجردة تماماً من القيم والغايات الإنسانية، ومن أهم تجليات هذا الانحياز العلمي لديهم هو مفهوم (الصحة العرقية) الَّذي ينطلق من ضرورة الحفاظ على وحدة الشعب العضوية وعلى نقائه عن طريق التخلص من العناصر الضارة التي تعد تعبيراً عن انهيار العرق وانحطاطه. ومن أهم المفاهيم المرتبطة بـ (الصحة العرقية) مفهوم القتل الرحيم الموضوعي، أي التخلص من المصابين بأمراض مزمنة أو المعوقين وأصحاب التشوهات الخلقية، إضافة للتجارب العلمية التي كانوا يجرونها على البشر بكل سهولة وبساطة، فالبشر بنظرهم تحوّلوا إلى مادة محايدة في عقول القائمين على هذه التجارب، ومنها أن يقوموا بعمليات استئصال من دون تخدير لدراسة أثرها، أو إطلاق الرصاص على نزلاء معسكرات الاعتقال لاختبار فاعليته في الحرب، وعُرّض آخرون لغازات سامة، ووضع بعضهم في غرف مفرغة من الهواء لمعرفة المدة التي يستطيع خلالها الإنسان أن يظلّ حيّاً وهو على ارتفاعات عالية، وهناك تجارب عرّض فيها سجناء للبرد الشديد حتى الموت لمعرفة مدة بقائهم أحياء لإطالة حياة الطيارين الَّذين يسقطون في مياه متجمدة، إضافة لتجارب الحقن بالسم أو البكتريا وتجارب زرع الغرغرينا في الجروح والتعقيم وترقق العظام والتجارب على التوائم وغيرها.... [1].

وهكذا فإن النازية الألمانية تميزت عن باقي أشكال العنصرية من خلال التّوجه بعنصريتها ضد كل من ليس ألمانياً أو إيطالياً في العالم كله وليس ضد جهة محددة، فكانت النتيجة أنْ قامت بتأدية رسالتها "الإنسانية العظيمة"، "وبناء صروح الحضارة" حسب ادعائها، وذلك بهلاك أكثر من خمسين مليون نفس بشرية في الحرب العالمية الثانية التي تعد أكثر الحروب دماراً وسفكاً للدماء في تاريخ البشرية، وقد أحال المعتدون النازيون مئات المدن السوفييتية وأكثر من سبعين ألف قرية هناك، عدا عن مدن وقرى في بلدان متنوعة إلى خراب تام، وشرّدوا عشرات الملايين، ودمّروا عشرات الآلاف من المنشآت الصناعية، إضافة للكوارث والمآسي البشرية والحضارية والاقتصادية التي جرّتها ألمانيا النازية بقيادة هتلر على الكثير من بلدان آسيا وأفريقيا وأوروبا، فعشية اندلاع الحرب العالمية الثانية كان أكثر من 66% من إجمالي مساحة الكرة الأرضية من نصيب الدول المستعمِرة.

رابعاً: العنصرية الصهيونية

الصهيونية: هي حركة سياسية عنصرية استعمارية استيطانية عدوانية، وتوسعية مرتبطة بالاستعمار، تسخّر الدين اليهودي لتحقيق أهدافها في إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والأراضي المجاورة لها.

وهي في جوهرها عقيدة دينية متطرفة، فقد بدأت من تطلع ديني يعود إلى ثلاثة آلاف سنة، واستمدت أصولها من الديانة اليهودية التي تنص أن إله اليهود (يهوه) قد وعد شعبه الخاص بأرض فلسطين ملكاً أبدياً وخصّهم بها ميراثاً أزلياً، فهو يقول في سفر الخروج 6: "أتخذكم لي شعباً، وأكون لكم إلهاً، وأدخلكم إلى أرض فلسطين مقسماً أن أعطيكم إياها ميراثاً"، وفي سفر التثنية يخاطبهم: "كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم....". إن هذه العلاقة بين يهوه وشعبه ظلّت نفعية بمفهوم مادي بحت، وسياسية عنصرية، فهو ينصرهم على أعدائه ويمكنهم من الاستيلاء على أراضي الشعوب، وهم يعبدونه ويقدِّمون له القرابين، وهكذا أخضعوا إلههم لإشباع رغباتهم وتحقيق نزواتهم مما أدى إلى إنكار آلهة الأمم الأخرى فاعتبروا الأمم وإلهها رجساً ونجاسة، وانغلقوا على نفسهم وعلى آلهتهم، فنشأ في نفوسهم من جراء ذلك اعتقاد بأنهم "شعب الله المختار". وقد خلع اليهود على إلههم أخلاقهم ونزعاتهم العنصرية فتكيفت طبيعته مع طبيعتهم الشرسة المولعة بالحرب وسفك الدماء فإذا به إله قاسٍ، مرعب، حقود، منتقم، غاضب، متعطش للضحايا كما ورد في سفر يشوع 6، وقد أمرهم في سفر صموئيل الأول 15 بأنْ: "اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً ..." [7].

أما الأب عزرا فقد كان شديد التعصب، وأفكاره عنصرية متطرفة وقد انتهز فرصة تجميع أسفار التوراة لتطوير العقيدة الدينية بما يتفق وفلسفة العنصرية المتطرفة، حتى إنه اعتُبر (كاتب الشريعة اليهودية) جاعلاً من مبدأ العنصرية عقيدة دينية مقدسة، وظلت تعاليمه السُّنَّة المتَّبعة في المجتمع اليهودي طوال عصور التاريخ اليهودي، حتى قيل لو أن الوصايا العشر لم تنزل على موسى لنزلت على عزرا وهو القائل في سفريه التاسع والعاشر مخاطباً اليهود: "انفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبات" [7].

لقد مُلئت تعاليم اليهودية بالكثير من هذه المبادئ التي تصب بنفس المعنى والتي لا مجال هنا لتعداد المزيد من نصوصها الدينية، فهي واحدة في جوهرها البغيض متعددة بأساليبها البشعة، وقد تم ذكر جزء من جذورها كي يتم الانتقال إلى مراحل حديثة، وكذلك من أجل الربط بين هذه المراحل جميعها، والتي أنتجت الكيان الصهيوني، فبعد ثلاثة آلاف عام تستمد الصهيونية أصولها من الديانة اليهودية، فلمّا كان لليهود دين خاص بهم، وكان هذا الدين بحد ذاته قابلاً للتلاؤم مع الرغبة الصهيونية، فإن التوفيق بينهما كان أمراً ممكناً.

لقد كتب الكاتب اليهودي (موسى هس) قبل ظهور الصهيونية بسنوات قائلاً: "إن وجود ديانتهم المتميزة بهم أثبتت أن اليهود كانوا شعباً وأنه يحق لهم التمتع باستقلالهم الوطني...، إلى أن يقول واليهود في الحقيقة أول شعب أصيل" [13].

وفي المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين أعلن الزعيم الصهيوني مناحيم بيغن أنه "لا يمكن الفصل بين القومية والدين في اليهودية". [7].

والصهيونية بذلك ترى في كل الشعوب والمجتمعات والقوميات مجرد كائنات أدنى منها، حتى إنها في جوهرها تقف ضد كل الأديان الأخرى، بل تذهب أيضاً إلى معاداتها فهي تؤكد في التلمود أن: "الأمم الخارجة عن دين اليهود ليست كلاباً فقط، بل حميراً أيضاً" [14].

ولا عجب في رؤية حتى النصوص اليهودية الأولى، وهي تُعاد على ألسنة زعماء الصهيونية ومفكريها وحاخاماتها بعد آلاف السنين بكل صفاقة ودون أي رادع دولي أو أخلاقي أو حتى فكري فقد أعلن القساوسة العسكريون الربانيون للعامة أنه يمكن قتل المدنيين العرب في هذه الحرب المأمور بها دينياً.

فحروب إسرائيل إذاً هي حروب دينية مأمور بها شرعاً، لذلك فإنه ينبغي عدم تطبيق القواعد الإنسانية المألوفة في حروبهم.

وبناءً على ذلك يقول الحاخام مايريهيل: "نحن لم نأت إلى هنا لنتطلع إلى السلام والهدوء، نحن جئنا إلى هنا رغم الصياح والغضب من أجل أن ننجز أمر الرب، وبالتالي فإنه لن تمنعنا أو تعوقنا أي عقبة" [13].

إنَّ هذه الطبيعة الاستعمارية للصهيونية تنعكس على موقف الكيان من اليهود الشرقيين، ففي الحقيقة ثمة تناقض صارخ في موقف الصهيونية بخصوص من هو عدوها، فتارةً يكون العدو كما حددته نصوصهم المختلفة هو كل من يدين بغير اليهودية، وأخرى يُلاحظ أن نفس الروح العنصرية تسيطر على السياسة الداخلية "لدولة" إسرائيل، فالتمييز حاصلٌ حتى بين اليهود أنفسهم، أي بين أولئك القادمين من أوروبا وأمريكا والمدعوين بالأشكنازيم، وأولئك القادمين من بلاد غير غربية والَّذي يطلق عليهم اسم السفارديم، فرغم أن أولئك السفارديم يشكلون خمسين بالمئة من السكان، فلم يكن لهم بدايةً سوى عشرين نائباً من أصل مئة وعشرين في الكنيست، وهذا ما استمر طيلة سنوات عديدة إلاّ أن قلق زعماء البرجوازية (القومية) اليهودية يزداد في الولايات المتحدة الأمريكية بسبب التطورات الديموغرافية (عدد السكان) لصالح اليهود الشرقيين، وبذلك يمكن أن يتحول الكيان الصهيوني إلى دولة شرقية على حد تعبيرهم [15]، واليهود الشرقيون كانوا يشعرون بالتمييز ضدهم بصورة خاصَّة حين يشاهدون الامتيازات التي تمنح لليهود الغربيين.

"فالدولة" اليهودية في فلسطين بهذا المعنى يجب أن تكون جزءاً من متراس أوروبا ضد آسيا، لأن الشعوب الآسيوية والأفريقية خاملة مقابل يهود أوروبا الَّذين وصفهم هرتزل في المؤتمر الصهيوني الثاني قائلاً: "ربما أن مهارة الشعوب الجرمانية ومرونة الشعوب الرومانية والصبر الكبير الَّذي يتحلى به السلافيون قد تركت أثرها علينا" [16].

وهكذا يتضح أن الحركة الصهيونية منذ بداياتها كانت تعتمد على يهود أوروبا، أما اليهود الشرقيون فقد كانوا غرباء عنها وكانت غريبة عليهم، وليس من حاجة هنا إلى استعراض تاريخ الكيان الصهيوني للبرهنة على مدى ارتباطه بالاستعمار الغربي.

إن من ينظر لإسرائيل يفهم وجود تمييز عنصري ضد العرب، ولكن التمييز العنصري ضد اليهود الشرقيين حاصل وسيبقى دائماً، ولا يمكن فهم هذه الظاهرة إلا إذا نُظِر إلى الصهيونية على حقيقتها، وهي أنها حركة استعمارية استيطانية تحمل مخلفات عقلية الرجل الأبيض.

حتى إن هذه النزعة العنصرية الاستعمارية لم تعد من الأمور التي يتمُّ التكتُّم عليها استحياءً أو التلطُّف في الإلماح إليها رمزاً وتضميناً، بل أصبحت من صميم الممارسات والتصريحات التي ينادي بها علناً كل مسؤول وزعيم ومفكر صهيوني فها هي غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة تقول صراحة: "أنا أقتل فأنا موجود"، وكان هرتزل قد قال: "القوَّة تأتي قبل الحق"، وذلك بيغن الَّذي أوضح بكل يسر وبساطة أن: "إسرائيل قد قامت بالدم والنار والإكراه".

وما مبادئ البروتوكولات التي وضعت عام 1901 م في مدينة سيرجيف الروسية إلا تأكيد سافر على ذلك. ففي البروتوكول الأول أكد مفكرو الصهيونية وقادتها على أن السياسة لا تتفق مع الأخلاق بشيء، وقالوا في البروتوكول الثالث: "نظهر وكأننا محررون للعمال...، وقوتنا في أن يبقى العامل في فقر"، مصرحين في برتوكولهم الخامس: "لقد بذرنا الخلاف بين الأمم ونشرنا العصبيات القبلية والدينية على مدى عشرين قرناً"، بينما في البروتوكول التاسع فقد كتبوا: "إننا مصدر إرهاب بعيد المدى، وتسخير أناس من جميع المذاهب"، دون أن ينسوا أنَّ عليهم أن يحطموا كل عقائد الإيمان كما جاء في بروتوكولهم الرابع عشر، وعليهم أن يبدؤوا باحتكارات عظيمة وقد أنجزوا الأزمات الاقتصادية في العالم كما ورد في البروتوكول السادس والثامن وكذلك التاسع عشر [17].

هذه بعض من مبادئ اليهود التي كرروها في محافلهم وتوصياتهم وآراء مفكريهم، والتي لا تقتصر فقط على معاملتهم لشعب فلسطين، فهم حتى ضمن أوروبا الشرقية كانوا يقاومون كل اندماج ويسعون إلى بعث النزعات العنصرية والانعزالية في الديانة اليهودية ويحاولون إحياء ما دعوه (بالأمة اليهودية) متفقين على مفهوم عام واحد هو أنهم شعب غريب عن غيره من الشعوب... ومقدس في طبيعته، فعاشوا في عزلة تامة عن البيئة التي تحيط بهم، لدرجة أنَّ "رؤية حرف واحد من حروف اللغة الروسية كان كافياً ليدنس العين" [7].

وقد ضمنت المعتقدات الأساسية للاستعمار الصهيوني أن يبقى الفلسطيني غائباً عن أنظار المجتمع الاستيطاني، فبالنسبة لاحتلال الأرض قالوا: "اليهود يجب أن يملكوا الأرض، وأن يعملوا فيها، واليهود وحدهم هم الَّذين يحق لهم ذلك"، ويعترف موشيه دايان وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق قائلاً: "ليست هناك قرية يهودية في البلاد لم تقم مكان قرية عربية" [18].

لقد اتخذ التمييز العنصري الصهيوني صوراً متعددة، وهناك سيل من الوثائق التي تفضح هذه الصور، فكل إنسان فلسطيني يمكن أن يتعرض للاعتقال في أي وقت، ويمكن طرده من البلاد ومصادرة ممتلكاته ونسف بيته وتحديد إقامته، فهو مرتبط بالحكم العسكري في كل صغيرة وكبيرة.

وتطبيقاً لهذه الأفكار العنصرية قامت إسرائيل بتدبير مذبحة دير ياسين 1948/4/9 كإحدى الأساليب التي حاولت من خلالها التأثير على السكان العرب ودفعهم إلى الهجرة خارج فلسطين، إضافة لما حدث في القدس وحيفا واللد والرملة وغيرها، وقد تكررت المأساة في كفر قاسم 19 تشرين الأول 1956 م عشية العدوان الثلاثي على مصر للضغط على عرب الأرض المحتلة وإرهابهم، إضافة لفظائع التعذيب التي تقوم بها، فهناك حوالي مئة وخمسين ألف ضحية على الأقل ومازال الآلاف غيرهم رهن الاعتقال والتعذيب وقد تم اقتياد بعضهم إلى مركز أبحاث (إيه. بي. سي) كي يُستخدموا كفئران معامل حيث تتم تجربة كافة أنواع الأسلحة الكيميائية والذرية والبيولوجية عليهم [19].

وما قول مناحيم بيغن عام 1958 وهو يخاطب الجيش الإسرائيلي إلاَّ دليل على ذلك: "أنتم – الإسرائيليين– لا ينبغي أن تكونوا رؤوفين حين تقتلون عدوكم، ينبغي عليكم أن لا تعطفوا عليه طالما لم نقضِ على ما يسمى بالثقافة العربية ولم نبنِ على أنقاضها حضارتنا نحن" [1].

وأخيراً وليس آخراً لا بدّ من التنويه إلى أن الكيان الصهيوني قد أيقن منذ تأسيسه بأنه لا بد– لتنفيذ الرؤية الصهيونية– من الاعتماد على دولة إمبريالية كبيرة تقوم بتوفير الحماية لخططها فتعاونت مع إنكلترا تعاوناً وثيقاً على أساس تبنّي إنكلترا الهدف الصهيوني، وهذا ما حدث فعلاً إثر وضع فلسطين تحت الاحتلال البريطاني لتسهيل الهجرة وفق اتفاقية سايكس بيكو عام 1916 ومن ثم تصريح وعد بلفور عام 1917.

وإثر الحرب العالمية الثانية أدركت الصهيونية الثقل المتزايد للولايات المتحدة الأمريكية على الصعيد الدولي، فنقلت مركز ثقلها من لندن إلى واشنطن التي طالما وقفت إلى جانب إسرائيل، مُدلِّلة على عمق المصالح والتوجه معها ضاربة بعرض الحائط حتى قرارات هيئة الأمم المتحدة، محولةً الحق باطلاً والباطل حقاً، متحيزةً للصهيونية بشكل مطلق، مثبّتةً كل قرار يخدم إسرائيل حتى ولو كان ابتكاراً محض الخيال، مبرِّئةً إياها من كل جريمة ولو أنها حقيقة واضحة للعيان. وهكذا عندما أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة العلاقة بين النظامين العنصريين في فلسطين وجنوب أفريقيا، في القرار ذي الرقم /3151/ كانون الأول 1973 م الَّذي يشير إلى (التحالف الشرير بين فاشية جنوب أفريقيا وإمبريالية إسرائيل)، والقرار ذي الرقم /3324/ في كانون الثاني 1974 م وفيه أدانت الجمعية العامة (تعزيز الروابط السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها بين إسرائيل وجنوب أفريقيا).

وفي 1975/11/10 م أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها ذا الرقم /3379/ القائل: "إن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري"، لتعود يوم 1991/12/16 م وتلغي قرارها ذاك بضغط من الولايات المتحدة متحولةً بذلك من عنصرية إلى مسالمة وديعة [20].

فأي إيديولوجيا تربوية عنصرية أكثر من ذلك؟!؛ فالصهيونية ما هي إلاَّ الوجه المعاصر الأكثر عنصرية وعدوانية للاستعمار الغربي، وما هي إلاَّ جزءٌ لا يتجزأ من الإمبريالية العالمية، فلقد وُلِدَت الصهيونية في أوج ازدهار الإمبريالية وسيطرة الاستعمار القديم، فكان من الطبيعي أن تتبنَّى أساليبه باستخدام القوَّة، فكما فعلت أمريكا تجاه الهنود الحمر بطردهم من موطنهم الأصلي وإبادتهم، كذلك قامت إسرائيل باقتلاع جذور الشعب الفلسطيني، وتهجيره إلى الخارج وإبادته إبادة جماعية.

خامساً: أوجه التشابه بين الصهيونية والنازية

إن ثمة تشابهاً بنيوياً وفلسفياً بين الصهيونية والنازية، فالصهيونية مبنية على تصورات أسطورية مثلها مثل النازية، لأن النازية تقوم على تفويق العنصر الآري، وبالمقابل فإن الصهيونية ترى في اليهود وحدهم (شعب الله المختار) وتحتقر الأغيار وكل مَن ليس مِن الجنس الآري بالنسبة للنازية، أو من الدين اليهودي بالنسبة للصهيونية فهو منحط.

لقد مارست الصهيونية الإرهاب، كما قامت وتقوم بشكلٍ دائم بحملات إبادة للشعب الفلسطيني، تماماً كما اتَّهم اليهود النازية في حملات الإبادة ضدَّهم، فكان الأسلوب المُتَّبع في مذبحة دير ياسين هو نفس الأسلوب المتَّبع في مذبحة (أورادور) التي قام بها النازيون، ونفس الأسلوب النازي المتبع في كثير من المناطق أثناء الحرب العالمية الثانية.

أما النقطة الأخرى التي تلتقي عندها فلسفة الصهيونية والنازية فهي التوسعية الصهيونية والمجال الحيوي عند ألمانيا النازية، فحدود الكيان الصهيوني وأمنه هما جيشه، كما كان جيش النازية من قبل، وبالتالي قام الكيان الصهيوني بعسكرة شعبه مثلما فعلت النازية، ليتحول الشعب كله تقريباً إلى جيش في كليهما.

كذلك التقت النازية والصهيونية في مجال الممارسة العملية على أساس ضرورة التخلص من الفئات غير الآرية في ألمانيا، والفئات غير اليهودية في فلسطين من أجل استعمار فلسطين وسوق أكبر عدد ممكن من اليهود إليها، فقام الكيان الصهيوني بحثٍّ اليهود من دول العالم على الهجرة إليه من أجل ملء مجاله الحيوي، وكذلك كانت النازية حين حثَّت على تكاثر النسل ونقائه الجرماني لملء مجالها الحيوي.

هذه هي النظرية العنصرية الصهيونية التي تتسم بالغيبية والرجعية وتقوم على ادعاءات وهمية خرافية تجاوزت حتى الأساطير.

فاليهود يدعون أنهم شعب واحد، وأنَّ دينهم يختلف عن سائر الأديان لأنه دين الشعب اليهودي فقط، وليس موجهاً للإنسانية جمعاء، وهنا يحضر ردّ مفكر الاجتماع الفرنسي جان جاك روسو على هذا الادعاء بقوله: "إن ربكم ليس ربنا، لأن الرب الَّذي يختار لنفسه شعباً واحداً ويبعد عنه سائر أبناء الجنس البشري لا يمكن أن يكون الرب المشترك لجميع الناس". كما أنهم في حقيقة الأمر لا يؤلفون شعباً واحداً، وإنما هم أتباع ديانة واحدة ينتمون إلى شعوب عديدة، وتجمُّعهم الاستيطاني في فلسطين يضم أكثر من سبعين مجموعة عرقية متمايزة في العادات والتقاليد واللغة...، وهذا ما بينه (سابيرو) رئيس المتحف الأمريكي لعلم السلالات البشرية مصرحاً: "اليهود ليسوا عشيرة أو قبيلة ولا يعتبرون أمة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة".[6]

وحيث يدّعون بأن الله قد وعدهم بوطن أصلي منذ أيام العبرانيين القدماء، وهذا الوطن هو فلسطين (أرض الميعاد) فإنهم يتجاهلون أن اليهود الحاليين هم غير العبرانيين القدماء وهم حالياً ينتسبون من حيث أصولهم إلى قسمين، هما الاشكنازيم والسفارديم، فالاشكنازيم: هم شعوب مملكة الخزر القديمة التي كانت على شواطئ بحر قزوين وهؤلاء من الشعوب (الهندو– أوروبية) ، أما السفارديم: فهم الشرقيون الَّذين عاشوا في الأندلس تحت ظل الحكم العربي.

وفي ادعاء كاذب آخر وتزييف للواقع يرفع هرتزل شعاره بأن: "فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض هو الشعب اليهودي"، وما هذا الشعار إلا ادعاء باطل تماماً حتى إنه مناقض لما قاله هرتزل: "نبني من أجل أوروبا مخفراً أمامياً في فلسطين للوقوف ضد آسيا، وسيكون هذا المخفر طليعة العالم ضد البربرية" [6].

وهو الَّذي طرح للمرة الأولى في كتابه "الدولة اليهودية" فكرة إيجاد وطن قومي يهودي في أوغندا، وكاد هذا المشروع أن ينجح لولا طرح خيارين آخرين في فلسطين والأرجنتين [21].

ويؤكد على ذلك الكاتب الصهيوني (ناحوم غولدمان) عندما قال: " كان ممكناً لليهود أن يحصلوا على أوغندا أو مدغشقر أو غيرهما، لينشئوا وطناً قومياً لهم، ولكنهم لا يريدون على الإطلاق سوى فلسطين، لا لاعتبارات دينية، ولا لأي شيء آخر، بل لأن فلسطين هي ملتقى الطرق في أوروبا وآسيا وأفريقيا، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية والمركز العسكري الإستراتيجي للسيطرة على العالم..." [6].

إن هذه النظريات العنصرية بمثابة خرافة باسم العلم؛ فعلى الرغم من كل المزاعم بإعطائها الطابع المستند إلى افتراضات علمية لتسويغ نهب خيرات الشعوب، إلا أنها ليست سوى زعم مخالف للعلم، وقد كثرت الدراسات العلمية التي دحضت مثل هذه المزاعم وتصدى باحثون بالجملة لهذا الاتجاه اللا إنساني، فلون البشرة والشعر وطول القامة

وشكل العظام، وغير ذلك تم دحضها، وكثير من الأقوام البدائية والعرق الأسود وأولاد الفقراء وما إلى هنالك تم الإثبات أنهم يمتلكون تلك الصفات التي حاول الدارسون العنصريون حصرها في العرق الأبيض، فهذا العالم الإحصائي الإيطالي (نتشيفورد) والدكتور البريطاني (برسونز) و(كارل بيرسون) وغيرهم الكثير الَّذين قاموا بدحض حجة من ادّعى أن العبقرية وقْفٌ على اللون الأشقر، بل قاموا أيضاً بإثبات العكس في كثير من الأحيان بعد تجاربهم العلمية والإحصائية المختلفة [22]، حتى إن هناك من حاول الوصول إلى إثبات علمي حقيقي لمثل هذه النظريات العرقية إلاَّ أنه وجد أن هذه الادعاءات باطلة علمياً فعدل عن رأيه البدائي والأول فقد قام العالم الدانماركي (جوهانس) بتجارب كثيرة من أجل إثبات صحة تلك المزاعم، ولكنه كان يفشل دائماً في محاولاته فأعلن أخيراً يقينه بأن: "الاصطفاء الطبيعي ليس له أهمية مطلقة في عملية التطور كما كان يدّعي داروين" [23]، أما العالم (جفري كودمان) فيقول: "وبطريقة غير علمية تماماً أعطى داروين مغزى تسلسلياً لأجناس البشر المختلفة، إن هذا الشيء لا يتفق مع الحقائق التاريخية لحضارات وادي الرافدين ومصر وغيرهم" [24].

إن ما وصفته النظريات العنصرية بالتطور لا يمكن وصفه من وجهة نظر العلم إلا بالانحراف عن التطور وعن الوصول إلى الغاية النهائية، وفي الواقع فإن الإنسان بذلك يحاول الرجوع إلى البداية مشغولاً بتدمير نفسه وقتل بعضه بعضاً سواء ضمن المجتمع الواحد أو بين الأمم المختلفة، وما هذا إلاَّ تبذير عظيم للطاقات التي يمكن استعمالها في دفع عملية التطوير إلى الأمام، بدلاً من صناعة السلاح الذري لتدمير جميع الكائنات على الأرض وتدمير نفسه وبهذا يكون قد خان التطور وانحرف به بعيداً.

هذا ما أكده تقرير جامعة (ستانفورد) الأمريكية عام 1975/1970 حين قال: " إن الأموال التي تُنفَق في سبيل سباق التَّسلُّح لو أنها أُنفقت على الزراعة ومشاريع التنمية في العالم الثالث لكان ذلك كفيلاً بتأمين الاحتياجات المطلوبة لإعالة عشرة أمثال عدد السكان العالم من خلال زيادة مردود المساحة المزروعة في العالم والتي لم تُستثمَر بعد"، وبذلك تكون حصَّة الإنسان الواحد أكثر من هكتار ونصف من الأراضي المنتجة في العالم [6]، وما الحروب والكوارث إلاَّ نتيجة حقيقية لمزاعم الذين يعدّون أن مراحل النمو الاقتصادي هي من وعي بعض الشخصيات البارزة وإرادتهم إذ يتسارعون بغية نهب الموارد من مواطنها الأصلية.

إن أحد وجوه هذه النظريات العنصرية هو عداء الإنسان الأبيض للشعوب ذات الألوان الأخرى، والتي ظهرت في ألمانيا على شكل النازية، وفي أمريكا على شكل القنبلة الذرية ضد هيروشيما وناكازاكي، وفي أفريقيا على شكل عنصرية بغيضة ضد السكان الأصليين، وفي أستراليا التي انقرض سكانها الأصليون، وفي فلسطين حيث يمارس الصهاينة أبشع أنواع العنصرية ضد سكانها العرب.

وأخيراً فإن فكرة العرق التي روّجها الأوروبيون كانت وبالاً على البشرية، وانقلبت نتائجها السيئة ضدهم، ولم يكونوا بمنأى عن خطرها، وأكبر دليل على ذلك الحرب العالمية الثانية والخراب الَّذي أودت به على أوروبا.

الاستنتاجات والتوصيات:

الاستنتاجات:

1- إن العنصرية لا تتجلى في شكل واحد، بل هي متنوعة متعددة، لها غايات مختلفة منها المادية الاقتصادية، ومنها الدينية، ومنها الشعور بالتمايز والهوية الخاصة، إلا أنها بكل أشكالها وأنماطها والوسائل التي تستخدمها لتحقيق أهدافها تبقى أخطر ما يهدد البشرية، ويثير القلق والاضطراب، ويؤدي إلى كوارث كبيرة.

2- إنَّ النظريات العنصرية بمجملها تستند إلى مفهوم خاطئ عن العرق، ساعية من خلال ذلك إلى تزويرٍ مقصود لتبرير نزعتها الاستعمارية كي تأخذ طابع المشروعية في عمليات النهب الإمبريالي، كما أن هذه النظريات باطلة من الناحية العلمية، وقد تم دحضها من قبل الكثير من العلماء والمختصين، حيث أن الأساس الَّذي تعتمده هذه النظريات ليس إلاَّ تسويغاً بيولوجياً للتمييز العنصري، وبالتالي تبريراً لنهب ثروات الشعوب وخيراتها؛ فالصهيونية مثلاً إضافة لكونها عرقية عنصرية فإنها أيضاً أُسطورية وغيبية.

3- كانت فكرة العرقية التي روج لها الأوروبيون وبالاً على البشرية، وانقلبت نتائجها السيئة ضدهم، ولم يكونوا بمنأى عن خطرها، وأكبر دليل على ذلك الحربان العالميتان الأولى والثانية، وما أودت به هاتان الحربان من خراب وكوارث على أوروبا ذاتها.

4- إن ثمة تشابهاً بنيوياً كبيراً في الفكر والممارسة بين العنصرية النازية والعنصرية الصهيونية، وهذا ما جعل الباحث يصف الصهيونية بـ (النازية الجديدة).

التوصيات:

1- إن الواقع الفكري والسياسي في الوطن العربي محفوف بالمآزق الكثيرة، تبدأ بالناحية الشكلية والإدارية، وتنتهي بالجوهر والمضمون، وبالتالي فإن مواجهة العنصرية الغربية تجاه الدول الإسلامية والعربية على وجه الخصوص تحتاج إلى قيام ثورة فكرية في هذه الدول من أبسط حلقة حتى أعقدها، وتكون البداية بإعادة بناها الثقافية، وتشكيل جبهة واحدة في وجه العدو المشترك، ومن ثم إعادة صياغة نظمها الاقتصادية والسياسية.

2- لن يحقق حوار الحضارات بين الشرق والغرب دوراً فعالاً وجاداً وإيجابياً، وخصوصاً لجهة دول الشرق في ظل استمرار التفاوت، وغياب التكافؤ بينها وبين دول الغرب من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والإعلامية....، وعليه فإن الخطوة الأولى التي تضع العرب والمسلمين على الطريق الصحيح لمواجهة هذا التباين والتفاوت مع دول الغرب، هي الأخذ بأسباب قوتها ومنعتها، من خلال إنهاء الخلافات البينية بين بعض الدول العربية، وتفعيل التضامن العربي والتعاون الفعال والتنسيق الحقيقي في كل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية....

3- لن تخف حدة العنصرية الغربية حيال الشرق، وكذلك العنصرية الصهيونية والتطرف العرقي والديني، ما لم تتشكل محاور جديدة تملك من القوة ما يجعلها تقف في وجه هيمنة القطب الأمريكي وربيبته إسرائيل ومن يسير في ركبه، وذلك من خلال ولادة عالم جديد تسوده التعددية القطبية.

4- على الأنظمة العربية إنهاء الخلاف حول ماهية العدو الأساس للأمة العربية المتجلي بالكيان الصهيوني، والكفّ عن علاقات التطبيع بين بعض الأنظمة العربية والكيان الصهيوني.

المراجع:

1- قهوجي، حبيب. *الصهيونية والعنصرية في الفكر والممارسة*، ط1، منشورات مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق، 1940، 11-153.

2- خوري، أنطوان. *العرقية إزاء العلم*، دار الثقافة، بيروت، 1960، 13-90.

3- بيهم، نبيل. *في إيديولوجية العنف*، مجلة الطريق، العدد 4، السنة 43، 1983، 118.

4- عروس، سهيل. *مأزق الليبرالية- نهاية التاريخ نموذجاً*، مجلة الفكر السياسي، العدد 15، السنة 5، 2002، 119.

5- المرزوقي، أبو يعرب. *الثقافة الإسلامية- محاضرات في حوار الحضارات*، المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق، 2001، 35.

6- أبو حمود، حسن. *علم الاجتماع السياسي*، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 2009/2008، 199- 202-234.

7- كنعان، جورجي. *العنصرية اليهودية*، ط1، دار النهار للنشر، دمشق، 1983، 32-114.

8- النفوري، أمين. *إستراتيجية الحرب ضد إسرائيل والعمل العربي الموحد*، المكتبة الميدانية، دمشق، 1959، 38-43.

9- فرمي، أدنوت؛ ترجمة فخري، خيري، *أقطاب وقادة الثورة الألمانية الكبرى*، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، 1952، المقدمة-483.

10- هتلر، أدولف. *كفاحي*، ط2، دار الكتب الشعبية، بيروت، 1975، 22-203.

11- شيرر، وليم؛ ترجمة حماد، خيري. *تاريخ ألمانية الهتلرية*، ط3، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، 1966، 35-378.

12- إبراهيم، نيرمين. *صعود النازية*، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008، 127-145.

13- شتاين، أمنوت؛ ترجمة العظم، محمد. *مراجعة الحلم الصهيوني من هرتزل إلى غوث أمونيم*، مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 1992، 41.

14- مشاكل، مروان. *خرافة الصهيونية ومواقفها المتردية*، مطابع الإدارة السياسية، دمشق، دون ذكر عام النشر، 43.

15- صالح، محمد. الصهيونية *الأمريكية وأزمة نظرية (دولة يهود العالم)*، مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية، جامعة دمشق، السنة الثالثة، العدد الثامن، 27 ربيع 2003، 220.

16- Herzl. *th.opinig address at the second Zionist congress*, Zionist wirtings essays, and addresses vol 11, translated for German by harry zohn, new York: herzl press,1975, p230.

17- بركات، سعد الله. *القدس والإرهاب الصهيوني*، ط1، مطبعة اليازجي، دمشق، 2000، 19-75.

18- سلسلة محاضرات الإعداد السياسي للضباط، *الإرهاب الصهيوني فكر وممارسة*، الإدارة السياسية، القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة، دمشق، دون ذكر عام النشر، 18.

19- أنور، أحمد. *تاريخ اليهود*، ط1، مركز الراية للنشر والإعلام، القاهرة، 1993، 176- 177.

20- سلسلة دراسات الصهيونية والعنصرية، مطابع مركز المعلومات القومي، دمشق، تشرين الثاني 2007، 14-42.

21- راتييه، إيمانويل؛ ترجمة هندي، إحسان. *خفايا وأسرار منظمة بناي بريت*، ط1، الذاكرة للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 1997.

22- اليافي، عبد الكريم. *تمهيد في علم الاجتماع*، ط4، مطبعة دمشق، دمشق، 1964، 345.

23- عليوي، ابن خليفة. *الحجج العصماء في نقد نظرية داروين في النشوء والارتقاء*، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق، 1977، 48.

24- الجنابي، طالب. *نظرية التطور الداروينية خرافة باسم العلم*، دار الأضواء، بيروت، 1989، 62.